

الرجز الى العصر الاموي

م.م. جاسم محمد حسين

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ دائرة البعثات والعلاقات الثقافية

- المقدمة :

يعتبر الشعر ديوان العرب وتاريخهم حيث سجل كل حياتهم وواقعهم من صغائر الامور، كوصف حياتهم الطبيعية من وصف الناقة والخيال والظبي وما الى ذلك من وصف ما يرونه، بحياتهم كونهم يعيشون الصحارى، الى كباثر الامور كالحرب والقتال والغزوات والبطولة والفروسية.

وهذا الديوان قد حفظه العرب وحافظوا عليه بعد ان رووه ودونوه وتناولوه بالدراسة والتحليل والاهتمام الكبير الذي اولوه اياه، ومن هذه الدراسة التي تناولوها بدراستهم للجانب الموسيقي، إذ اقاموا له قواعد وأسساً واوزاناً وبحوراً يقاس عليها الجودة والاداء.

وان عدد هذه البحور هي ستة عشر بحراً، استأثر الباحث بإحداها وهو، بحر (الرجز) الذي تولاه الباحث بالدراسة ببحثه الموسوم "الرجز الى العصر الاموي".

حيث قام بالاتي :

تعريف الرجز، لغة واصطلاحاً.

اقسام بحر الرجز :

اولاً : اقسامه بحسب اوزانه.

ثانياً : اقسامه بحسب قوافيه.

وبعدها انتقل الباحث الى نشأة بحر الرجز ووجوده في الشعر الجاهلي والشعراء الذين نظموا عليه ثم بعدها عصر صدر الاسلام وبعدها العصر الاموي وتطوره وازدهاره في هذا العصر.

لينتهي الباحث بان الرجز هو احد البحور التي لم تكن قليلة الشأن وان كان بعض الابداء يرونه اقل، إذ ان ابا العلاء المعري جعل بيوت الرجز المغفور لهم في الجنة اقل درجة من بيوت بقية الشعراء، في كتابه (رسالة الغفران)، بحجة ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها. وبان الرجز من سفاسف الشعر.

ان هذا الكلام لا يعد شيئاً الا انه يؤكد شيئاً واحداً وهو ان الرجز كان بحراً مشهوراً نظم به كل الشعراء ومعروف هذا البحر عند كل الابداء والنقاد لشهرته ومن اشتهر به فهذا الامر يعد شيئاً له وليس عليه.

وكما معروف عن الرجز فهو سهل التناول وقريب المورد، وكثير الانشاء على كل الالسنة العامة والشعراء لشهرته.

الرجز:-

لغة:- معناه في معجمات اللغة هو:

"الرجز": داء يصيب الابل في اعجازها، والرجز، إن تَضَطَّرَبَ رَجُلٌ البعيرِ او فخذاه اذا اراد القيام او ثار ساعة ثم تنبسط"⁽¹⁾.

كما ان الرجزاء ارادت النهوض فلم تكد تنهض الا بعد ارتعاد شديد، ومنه سمي الرجز من الشعر لتقارب اجزائه وقلة

حروفه، وقول الراعي، يصف الاتاني :

ثلاث صلبين النار، شهداء دار زمت

عليهن رجزاء القيام هودج

(1) ينظر : لسان العرب. ابن منظور. باب الرجز.

"والرَّجُزُ" بالكسر والضم عبادة الاوثان، والعذاب والشرك وبالتحريك ضرب من الشعر، ووزنه، مستعلن ست مرات، سمي لتقارب اجزائه، وقلة حروفه ؛ وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو انصاف ابيات واثلاث، والارجوزة. القصيدة منه : اراجيز، وقد رجز وارتجز ورجز به ورجزه انشده ارجوزة⁽¹⁾

والرجز، بكسر الراء وضمها. قال مجاهد : هو الصنم، واما قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، فهو العذاب، والرَّجَزُ بفتحين ضرب من الشعر وقد رجز الراجز من باب نصر وارتجز ايضاً.⁽²⁾

والرجز اصطلاحاً: - (هو تتابع الحركات، وهو من البحور الشعرية المعروفة في الشعر العربي التي اوجدها الفراهيدي، ويرتفع الصوت في بحر الرجز بارتفاع خفيف وسريع، وذلك طبيعي في الرجز لأنه يقوم على التفعيلة الواحدة)⁽³⁾.

وهي تقوم بدورها على الحركة الذاتية او يمتاز الرجز بقلة ابياته وقصرها كما تمتاز بقلة الحروف والاصوات، وكل هذه الصفات تؤدي الى الخفة والسرعة. ولذلك كان الرجز اخف على اللسان، واللسان به اسرع، وينبع الرجز من تفعيلته الرئيسية والمتكررة، نظام موسيقي متميز، وهذه التفعيلة هي (مستعلن).

ويكون على مصراع منه منفرداً بيتاً، أي يعود كل شطر فيه بيتاً وتسمى قصائده اراجيز واحدها ارجوزة، وصاحبها راجزاً او رجازة⁽⁴⁾.

اقسام الرجز : -

ينقسم بحر الرجز الى قسمين رئيسين هما:-

اولاً :

اقسام الرجز بحسب تفعيلاته : -

وللرجز عروضتان * مشهورتان وثلاثة اضرب ** هما : - (5)

1-العروضة الاولى : - (صحيحة) (مستعلن) ولها ضربان : -

أ - صحيح مثلها " مستعلن " .

ب - مقطوع " مفعولن " عوض " مستعلن " .

مثال الاولى : - الضرب الصحيح " مستعلن " قول الشاعر : -

اكرم به اصفر راقت صفرته

جواب افاق ترامت سفرته. (6)

(1) ينظر : القاموس المحيط. باب الرجز.

* سورة البقرة : الآية (59).

(2) ينظر : مختار الصحاح. الرازي. ص 131 - 132.

(3) ينظر (مصطلحات فنية - الرجز) رحلتي مع الارجيز بصحبة الاستاذ امجد طرابلسي. د. عبد الهادي دحاني. استاذ

فقه اللغة في كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة شعيب الركابي. بحث منشور في الانترنت.

(4) ينظر : المصدر السابق.

* العروض : - اخر جزء من الصدر. التفعيلة الاخيرة من صدر البيت.

** الضرب : - اخر جزء من العجز وهي التفعيلة الاخيرة من عجز البيت.

(5) ينظر : - ميزان الذهب في صناعة شعر العرب. السيد احمد الهاشي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 2000م.

ص 62-63.

(6) مقامات الحريري. المقامة الديارية. موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس. مجموعة اصدارات الكترونية.

ومثال العروض الأولى. الضرب الثاني " مفعولن " : - قول الشاعر
من ذا يداوي القلب من داء الهوى

اذ لا دواء للهوى موجود. (1)

2- العروض الثانية : - مجزوءة صحيحة " مستفعلن " ولها ضرب مثلها :

ومن ذلك قول الشافعي : -

حسبي بعلمي ان تقع

ما الذلُ الا في الطمع. (2)

فعند تقطيع البيت نجده يتألف من أربع تفعيلات صحيحة : كل شطر يحتوي على تفعيلتين.

وهذه التقسيمات تكون ضمن تقسيمات الوزن ؛ ومن الجدير بالذكر ان هناك بالاضافة الى الرجز المجزوء، رجز

مشطور، ورجز منهوك. (3)

فالمشطور : هو البيت الذي حذف شطره او مصرعه وتكون فيه العروض هي الضرب، حذف نصفه وبقي نصفه الاخر
كأنه حذف شطر والشرط الاخر قسم نصفين، كما في قول الشاعر (4).

تحية كالورد في الاكمام

ازهى من الصحة في الاجسام

والمنهوك : هو البيت الذي ذهب ثلثه وبقي ثلثيه. كما في قول الشاعر. (5)

يا ليتني فيها جذع

أخبُ فيها وأضع

ثانياً : - اقسام الرجز بحسب قوافيه : -

ينقسم الرجز الى ثلاثة اقسام بحسب قوافيه وهي : -

1 - الرجز العامودي :

وهو كما في القصيدة العربية القديمة بحيث يكون البيت الاول مصرع وبقيه القصيدة موحدة القافية فقط في الشطر

الثاني كما في قول ابن عبد ربه الاندلسي في قصيدته (لم أدري): (6)

ام شمس ظهر اشرفت لي ام قمر

لم ادر جني سباني ام بشر

حتى كأن الموت منه في النظر

ام ناظر يهدي المنايا طرفه

الاسهام الطرف رست بالهور

يحيي قتيلاً ما له من قاتل

حتى لقد انكرني ما قد دثر

ما بال رسم الوصل اضحى دارساً

خفي ترى اياتها مثل الزبر

دار لسلمي اذ سلمي جارة

وهناك الكثير من الامثلة والشواهد الشعرية على هذا النوع من القافية في الشعر العربي لالتزام اكثر القصائد العربية

القديمة والحديثة بهذا النوع من التقفية.

(1) ديوان ابن عبد ربه الاندلسي. موسوعة الشعر العربي - الاصدار الخامس.

(2) ينظر (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب). السيد احمد الهاشمي. ص 64.

(3) ينظر : ويكيبيديا. الموسوعة الحرة. شبكة الانترنت.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر السابق.

(6) ديوان. ابن عبد ربه الاندلسي. موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

2 - الشطر الواحد : وهذا النوع الذي تكون فيه اشطر القصيدة بالقافية نفسها، بحيث تكون القصيدة كلها بصدر البيت وعجزه تنتهي بحرف الروي نفسه أي القافية نفسها ؛ فتكون بذلك كل الابيات مصرعة بالقافية نفسها ومثال ذلك قول المتنبي بقصيدته التي قالها بوصف كلب لابن ملك عندما ذكر ذلك ابو علي الادراجي فيقول بالقصيدة:⁽¹⁾

ومنزّل ليس لنا بمنزل
ذوي الخزامي مثل القرنفل
ولا لغير الغاديات الهطل
عن لنا فيه مراعي مغزل
محلل ملوحش لم يحلل
اغناه حسن الجبر عن لبس الحلبي
فحين النفس بعيد الموثل
وعادة العري عن التفضل

وتستر القصيدة حتى تصل حوالي (56) شطر تنتهي بالقافية نفسها. حيث يقول باخر اشطرها : -
فلم يضرنا معه فقد الاجدل اذا بقيت سالماً ابا علي.

فالملك لله العزيز ثم لي

وكذلك قد تأتي الابيات بحرف الروي نفسه. سواء كان بحر الرجز مشطور او مجزوء، ومن ذلك. قول عنتره في مجزوء الرجز:⁽²⁾

انا الهجين عنتره
اسودة واحمره
كل امريء يحمي حره
والواردات مشفره

ومن شطور الرجز قول حسان بن ثابت : ⁽³⁾

اذا اردت اللين الاشدا

من الرجال فعليك سعدا

سعد بن زيد فاتخذه جندا

ليس بخوار فهدهدا

ليس يرى من ضرب كبش بدا

وقد يكتب هذا النوع بتوالي الاشطر، أي شطر واحد بدون ان يكون شطر وعجز. شطرين بحيث تكون بالقافية نفسها كما في قول عمرو بن كلثوم : - ⁽⁴⁾ عندما اغار على بني حنيفه في اليمامة :

من عال من بعدها فلا اجتبي

ولا سقى الماء ولا ارعى الشجر

بنو لجيم وجماسيس سقى

بجانب الدو يدهدهون العكر

وهناك امثلة كثيرة على هذا النوع من التقفية (الشطر الواحد) في تراث الشعر العربي.

(1) شرح ديوان المتنبي. وضعه عبد الرحمن الترقوفي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. الجزء الثالث، ط 2. ص 231.

(2) ينظر : ديوان عنتره. موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس. قرص الكتروني.

(3) ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه). طبع بمطبعة المحمدية. 1281. ص 36.

(4) ديوان. عمرو بن كلثوم : - جمعه وحققه وشرحه. د. اميل بديع يعقوبي. الناشر. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 2.

الرجز المزدوج : -

وهو الرجز الذي يشتمل كل بيت على قافية تخالف البيت الذي قبله والذي بعده بحيث يكون كل بيت مصرع، أي صدر البيت وعجزه بالقافية نفسها ولكن كل بيت من القصيدة له قافية مستقلة بذاته مع التزام القصيدة كلها بالبحر نفسه (الرجز)⁽¹⁾.

ولعل من أوائل من كتبوا بهذا النوع من الرجز هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك* الذي كان شاعراً مجيداً فأكثر النظم على الأوزان القصيرة والآخرى المجزوءة، وقد روي أن الشعر يسهل عليه سهولة شديدة وكان يؤاتيه كلما اراده بحيث خطب الناس في خلافته يوم الجمعة بخطبه على بحر الرجز من نوع الرجز المزدوج حيث يقول فيها⁽²⁾.

الحمد لله ولي الحمد	احمده في يسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب استعين	وهو الذي ليس له قرين
اشهد في الدينار ما سواها	ان لا اله غيره الاصا
ما ان له في خلقه شريك	قد خضعت لملكه ملوك
اشهد ان الدين دين احمد	فليس من خالقه بمهتد
وانه رسول رب العرش	القادر الفرد الشديد البطش
ارسله في خلقه نذيراً	وبالكتاب واعظاً بشيراً
ليظهر الله بذلك الدنيا	وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد اصابا	او يعصه او الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيل	قد يفيا لما مض الرسول
كأنه لما مضى لديكم	حي صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد ان تركوا	عن قصده او نهجه تضلوا
لا تتركن نصحي فاني ناصح	ان الطريق فأعلمن واضح
من يتق الله يجد عين التقى	يوم الحساب صائراً الى الهدى
ان التقى افضل شيء في العمل	ارى جماع البر فيه قد دخل
نافوا الجحيم اخوتي لعلكم	يوم اللقاء تعرفوا ما سرکم
قد قيل في الامثال لو علمتم	فانتفخوا بذاك ان عقلتم
ما يزرع الزارع يوم حصده	وما يقدم من صلاح بحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا	فالموت منكم فاعلموا قريب

ونلاحظ بانها قصيدة لخطبة جمعة كاملة على نوع الرجز المزدوج مما يدل على تمكن هذا الشاعر ليكون رائد هذا النوع من الرجز واول من كتب به، وقد استمر هذا اللون من الرجز بعد ذلك لتدوين اكثر علوم الفقه واللغة والعلوم الدينية والفلكية منها ارجوزة الفية بن مالك والتي وصلت الى اكثر من الف بيت على نوع الرجز المزدوج.

(1) ينظر : موسيقى الشعر . د. ابراهيم انس . دار القلم . بيروت - لبنان . ص 152.

* هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم . لقب البيطار . وضيع بني مروان ببيع للخلافة وعمره (25) عاماً كان من فتيان بني امية وخرافاتهم وشجعانهم وله علم بالموسيقى . قتل في دمشق عام 126هـ .

(2) ينظر فصول في الشعر ونقده . د. شوقي ضيف . دار المعارف . ط 3 . ص 35 - 36.

نشأة بحر الرجز وأوليياته في الشعر العربي : -

في العصر الجاهلي :

يذهب نقاد العرب القدماء والمحدثون بان اول بحر استخدمه العرب في شعرهم هو (الرجز)، حيث يقول د. شوقي ضيف في ذلك: "يذهب نقاد العرب القدامى الى ان اول وزن ظهر من تلك الاوزان هو (الرجز)، الذي كانوا ينشدونه في اثناء حداثهم للابل وكأنهم يحاكون بما فيه من صلصلة واصوات وقع اخفاف الابل على بساط الصحراء الواسع"⁽¹⁾.

وهذا القول يشابه قول جرجي زيدان في كتابه اداب اللغة العربية :

"والرجز يشبه توقيعه على مقاطعة مشي الجمال الهوينا، ولو ركبت ناقه ومشت بك الهوينا لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماماً، فكان العرب يجدونها به اذا ارادوا سيرها رويدا، وربما كان شاعرهم عاشقاً فيتذكر وهو يسوق ناقته على وزن الرجز"⁽²⁾.

إذا تشابهت الاراء في كون هذا الوزن مرتبط بنشأته بالحياة البسيطة للشعراء العرب حيث ارتبطت نشأته بالناقاة وهي اكثر ما يعرفونها العرب لأنها رفيقة سفرهم بين هذه الكثبان الرملية في الصحراء الواسعة، ويؤكد ذلك د. ابراهيم انيس بقوله "ونظرتهم اليه على انه اصل الاوزان واقدمها، فهم حين يتحدثون عن نشأة الشعر العربي ينسبون هذه النشأة عادة الى تتبع الجمال في الصحراء والى وقع خطاها فوق الرمال ويربطون بين حذاء الابل ووزن الرجز"⁽³⁾.

وهناك رأي آخر يرى أن هذا البحر هو من اوائل البحور. ومن هذه الاراء قول د. ابراهيم انيس ونصه " ويذكر مؤرخو الادب في مواضع كثيرة ان الكلام قد يجيء على وزن الرجز دون عمد او قصد بل يكون وزنه عفواً بمحض المصادفة وقد جرى هذا النوع من القول على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في يوم حنين"⁽⁴⁾ اذ قال:

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

وكذلك لما اصيب اصبعه بجرح في معركة احد اذ قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁵⁾:

هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وهناك آراء اخرى تلتزم بان بحر الرجز من اقدم البحور ولكنها تختلف في كون هذا البحر قد نشأ او اشتق ليس من حذاء الابل او الكلام العام ولكن من سجع الكهان فبذلك يقول د. شكري محمد عياد " والاصل الديني لسجع الكهان بشعر يقدمه السحيق، ونحن نفترض انه كان نموذجاً اقدم من الشعر وان لم نفترض بالضرورة انه كان اصل الشعر فمن الجائز ان يكون الشعر قد نما من اغاني العمل او من اهازيج الرقص ولكننا نفترض ان هذه الاغاني او هذه الاهازيج لم تكن تفتقر كثيراً في طريقة نظمها عن سجع الكهان، جمل قصيرة تنتهي بمقاطع متماثلة او متشابهة. ويتفق ذلك الغرض مع ورود نماذج كثيرة وقديمة لايبات قصيرة مقفاة من بحر الرجز الذي يرجح معظم الباحثين ايضاً انه كان اول الاوزان العربية ظهوراً"⁽⁶⁾.

والعروضيون يسمون مثل هذه الابيات رجزاً مشطوراً وعندنا " انها اقدم من الرجز التام، بل اقدم صور الشعر العربي على الاطلاق"⁽⁷⁾.

(1) في النقد الادبي. د. شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. مكتبة الدراسات الادبية. ط 2. ص 100.

(2) تاريخ اداب اللغة العربية. جورج زيدان. 1 / 61.

(3) موسيقى الشعر. د. ابراهيم انيس. 140.

(4) موسيقى الشعر. د. ابراهيم انيس. 140.

(5) ينظر : بين الرجز والشعر في حياة الرسول الاكرم (ص) . بحث منشور من الانترنت.

(6) موسيقى الشعر العربي "مشروع دراسة علمية". د. شكري محمد عياد. الناشر مؤسسة دار الشعب. دار المعرفة. ص102.

(7) المصدر نفسه. ص102.

وعلى اختلاف هذه الآراء في نشأة بحر الرجز سواء كان من التأثر بحداء الأبل أو بكلام العرب أو سجع الكهان إلا أنهم متفقون على أن هذا البحر هو أقدم صور الشعر العربي.

حتى أنه شاع على أغلب الألسن وهناك من يرى ذلك وهو الدكتور شوقي ضيف بقوله " ولا شك في أن استخدام الشاعر الجاهلي للأوزان القصار المجزوءة كان محدوداً. وكأنه كان يميل في تغنيته إلى الرصانه والوقار، وينبغي أن نستثني وزناً كان يشيع على كل لسان هو وزن (الرجز)، الذي كان يستخدمونه في الحداد ومنازلة الأقران والسقي من الأبار وكل ما يتصل بالحركة والعمل، وجعله ذلك وزناً شعيباً عاماً"⁽¹⁾.

وكانهم كانوا ينظمون أناشيدهم وقصائدهم على بحر الرجز في الأعمال التي تحتاج إلى جماعة حيث يذكر ذلك د. شوقي ضيف بقوله "ولعل وزناً لم تتعدد صورته كما تعدد الرجز وكانوا ينظمونه في الحداء والحرب وحين يمتحون من بئر أو يقومون بأي عمل من الأعمال، فكانوا يصنعون منه البيتين أو الأبيات القليلة"⁽²⁾.

ولكن يرى الباحث أن الخلاف الحقيقي هو في الرأي الذي ذكره الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول فيه "أما في العصر الجاهلي فلا نكاد نعثر على شيء من الأراجيز"⁽³⁾. حيث يذكر د. إبراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر أن الجاهليين قد نظموا في الرجز مقطوعات قصيرة شاعت على ألسنة العامة ولكنها لم تدون أو تحفظ فيما بعد أو لم يروها الرواة، لأنها تمثل الأدب الشعبي عند الجاهليين.⁽⁴⁾

وهذا ما يختلف به الباحث مع الدكتور أنيس، حيث بحر الرجز من البحور الشعرية المعروفة قديماً عند العرب وعرف باسم الرجز حيث ذكره صاحب الأغاني بقوله " كتب عمر (رضي الله عنه) إلى المغيرة بن شعبة أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام، فارسل إلى الأغلب العجلي * فاستنشده، فقال:⁽⁵⁾

لقد سألت هيناً موجداً أرجزاً تريد أم قصيداً

قول امرؤ القيس حين قتل أبوه وكان غلاماً قد ترعرع وكان مقيماً في بني حنظلة وبلغه ذلك فقال⁽⁶⁾: (مشطور الرجز)

يا لهف هند إذا خطئن كاهلاً

القاتلين اليك الحُلا حلا

خير معد حسباً ونائلاً

وخيرهم قد علموا شمائلنا

ونحن جلبنا القرح النواهلا

تا الله لا يذهب شيخي باطلا

يحملنها والاسل النواهلا

(1) فصول في الشعر ونقده. د. شوقي ضيف. ص 33.

(2) في النقد الأدبي. د. شوقي ضيف. ص 100.

(3) موسيقى الشعر. د. إبراهيم أنيس. ص 141.

(4) ينظر : المصدر نفسه. ص 142.

* العجلي. هو أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي. اشتهر بابي النجم من رجاز الإسلام المشهورين حتى قيل للرجز من الحجاج وابنه رؤية. عرف بسرعة البديهة وحسن الانتباه.

(5) الأغاني. أبي الفرج الأصفهاني. موسوعة الشعر العربي. الإصدار الخامس.

(6) ديوان امرؤ القيس. اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة. بيروت - لبنان. ط 2. 1425. 2004.

وحي صعب والوشيح الذابلا

مستشفرات بالحصى جوافلا

يستشرف الاواخر الاوائلا

حتى ابيد ملكاً وكاهلاً

وهذه القصيدة هي على نمط الشطر الواحد أي مصرعة الابيات كلها بحيث نلاحظ ان اشطر القصيدة - الصدر والعجز - بالقافية ذاتها.

وكذلك لاحظنا عند عنتره العبسي وهو من شعراء المعلقات على بحر الرجز وهو يتوعد شيبان فيقول⁽¹⁾:

مدت اليّ الحادثات باعها

وحاربتني فرأت ما راعها

ياحادثان الدهر فري واهجعي

فهمتي كشفت قناعها

ما دست في ارض العراة غدوة

الاسفاسيل الدما بقاعها

ويل لشيبان اذا صحبتها

وارسلت بيض الضبي شعاعها

وفاض رمحي في حشاها وغدا

يشك مع دروعها اضلاعها

واصبحت نسائها نوادياً

على رجال تشتكي نزعها

وحر انفاسي اذا ما قابلت

يوم الفراق صخرة اباعها

يا عبلاً كم تعنق غريان الفلا

قد ملّ قلبي في الدجي سماعها

فراقت اطلاقاً وفيها عصبية

قد قطعت من صحبتي اطماعها

وقال عنتره في يوم جفر الهباءة على بحر الرجز " الشطر الواحد"⁽²⁾.

اني انا عنتره الهجين

فج الاثنان قد علا الاثنين

يحصد فيه الكف والونين

من وقع سيفي سقط الجنين

عندكم من ذلك اليقين

عيلة قومي ترك العيون

(1) ديوان عنتره العبسي. هو عنتره بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي. الطبعة الرابعة ورخصة بنفخته خليل الخوري.

صاحب المكتبة الجامعة. 1830. ص 50 - 51.

(2) المصدر السابق. ص 85.

فيستقى محابة الحزين
 دارت على القوم رحي المنون
 وقد نظم كذلك النابغة الذبياني على بحر الرجز " الشطر الواحد " (1).
 صل صفا لا تتطوي من القصر
 طويلة الاطراف من غير خفر
 داهية قد صغرت من الكبر
 كأنما قد ذهبت بها الفكر
 مهروته الشدقين حولاء النظر
 تفتر عن عوج حداد، كالابر
 وهذه المقطوعة كانت على نظام الشطر والواحد، وكذلك قوله على بحر الرجز بالنظم ذاته: (2)
 نفس عصام سودت عصاماً
 وعلمته الكر والاقداما
 وصيرته ملكا هماما
 حتى علا وجاوز الاقداما
 وكذلك نظم الاعشى على بحر الرجز " الشطر الواحد " وهو يهجو وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد وقومه (3).
 الم تروا للعجب العجيب
 ان بني قلابة القلوب
 انوفهم ما الفخر في اسلوب
 وشعر الاسناه بالجبوب
 يارضى قاظ على ينخوب
 يعجل كف الخاريء المطيب
 اهل النهى والحسب الحسيب
 والخمر والترياق والزبيب
 ويقول الاعشى على نظام القصيدة السابقة أي بحر الزجر وهو يهجو بن قميئة بن سعد بن مالك: (4)
 ان بني قميئة بن سعد
 كلهم لملصق وعبد
 ادنى لشر من كلاب عقد
 وهم اذل من كلاب عقد
 يعزون بين وبر وقد
 عبدان بين عاجز ووغد
 ان يبصروا قبراً حديث العهد

(1) ديوان النابغة الذبياني. اعتنى به حمد وطماس. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط 2. 1426هـ. 2005م. 65.

(2) المصدر نفسه. ص 114.

(3) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

(4) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

ينبشوا فيه احتقار الخلد

انقر فقد بلغت قعر اللحد

وهامة رشقة من برد

وقال وهو يهجو وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد (1).

لا فشل في ولا سقاط

ليس وان يكره الخلاط

بنو شرحبيل سوى بساط

وعنهم ضبيعة المضراط

صمصح مجرب عياط

ووائل كأنه مخاط

يزل عن جبهته الامشاط

لقد منو بتيجان ساطي

تَبَّتْ، اذا قيل لهم يعاطي

اخرج خضرا غير ذي نياط

ووجدنا عند طرفة بن العبد شاعر المعلقة الكبير مقطوعة في بحر الرجز يقول فيها (2).

يا لك من قبرة بمعمر

خلالك الجو فبيض واصغري

قد رفح الفخ، فماذا تحذري

وتقري ما شئت ان تنفري

قد ذهب العباد عنك، فابشري

لا بد يوماً ان تصاد فاصبري

وهذا الشاعر بشر بن ابي حازم الاسدي * حيث يقول على بحر الرجز قصيدته (3) :

لو خفت هذا منك يوماً لم اتم

حتى يجوز الشعفان من خيم

فاقصد فاني غانم او مغتتم

الم تر الطبي الى جنب العلم

والعين والعاقه في وادي السلم

سلامة ونعمة من النعم

لقد زجرت الطير زجراً لم ألم

تقول قولاً غير اقوال الخلم

وهذا الشاعر عمرو بن كلثوم وهو من شعراء المعلقات ووجدنا له مقطوعة على بحر الرجز يقول فيها (1).

(1) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

(2) ديوان طرفة العبد. اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة. بيروت. لبنان. 43.

* هو عمرو بن عوف الاسدي. شاعر جاهلي فحل من الشجعان من اهل نجد من بني اسد بن خزيمه. توفي قتيلاً.

(3) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

من عال منا بعدها فلا اجتبر
ولا سقى الماء ولا ارعى الشجر
بنو لجيم وجماسيس مضر
بجانب الدو يدهدهون الفكر

وجدنا هناك قصائد ومقطوعات لكثير من شعراء العصر الجاهلي على بحر الرجز بانواعه، منهم حاتم الطائي، تأبط شراً، والحارث بن حمزة اليشكري، ولقيط بن يعمر الايادي، مهلهل بن ربيعة، وشنفرة، والطفيل الغنوي وامية بن ابي الصلت.

ومما سبق تبين ان بحر الزجر لم يكن من البحور المهمة او المدومة النظم بل انه كان هناك عدد غير قليل من الشعراء الجاهليين ومنهم شعراء المعلقات نظموا فيه، وهذا خلاف رأي كثير من الادباء المحدثين الذين قالوا خلاف ذلك. الا ان بحر الزجر لم يكن بكثرة بعض البحور الاخرى التي نظمت عليها القصائد الطوال كالمعلقات كبحر الكامل والوافر والطويل وغيرها.

الرجز في صدر الاسلام

ان بحر الرجز في صدر الاسلام كان اوسع استعمالاً من قبل الشعراء الذين بدعوا يمجدون بالدين الاسلامي والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ذكر على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الارجيز كما بينت ذلك في بداية البحث. وقد نظم الشعراء الاسلاميين المخضرمين على بحر الرجز ومنهم النمر بن تولب وحميد بن ثور وعمرو بن سالم الخزاعي واعشى بن مازن، حيث نظم على هذا البحر⁽²⁾.

وهذه القصيدة لحميد بن ثور الهلالي على بحر الرجز يقول فيها:⁽³⁾

علق من سلمى علوقاً كاللجج

تطراً منها ذكر بعد حُجج

ان سلمي واضح لباقتها

لينة الابدان من تحت الشجج

صدور دودان فاعلى تتحني

فالاشهبين فجمال بالمجج

وعاد خباز يسقيه الندى

ذراوة تنسجه الهوج الدرج

نضح السقاة بصبيان الذلا

ساعة لا ينفعها منه وحج

تتاديا من فلتات عابس

قد كدح الحيان منه والودج

حتى اذا ما حاجب الشمس دمج

تذكر البيض بكحول فلج

(1) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

(2) ينظر (الاثر التعليمي لفن الرجز) ملخص بحث دكتوراه. حسن محمد حسن مجذوب. بحث منشور في الانترنت.

(3) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس (قرص الكتروني).

وليس فقط هؤلاء الشعراء من كتبوا ببحر الرجز في صدر الاسلام بل هناك شعراء آخرون من الشعراء المشهورين أمثال حسان بن ثابت والحطيئة، فها هنا نجد الشاعر حسان ينظم بحر الرجز مقطوعته وهو يمدح سعد بن زياد⁽¹⁾ اذا اردت اللين الاشددا

من الرجال فعليك سعدا

سعد بن زيد فاتخذة جندا

ليس بخوار يهدهدا

ليس يرى من ضرب كبس بدا

ومن اشعار الحطيئة في الرجز مقطوعته في حين حضرته الوفاة ولما قالها مات مكانه⁽²⁾:

قد كنت احيانا شديد المعتمد

قد كنت احيانا علم الخصم الالاد

وقد وردت نفسي وما كانت ترد

ثم قال : لكل جديد لذة غير أنني رأيت جديد الموت غير لذيد

وهذا هو بحر الرجز في عصر صدر الاسلام حيث كتب فيه عدد غير قليل من الشعراء حالة كمال البحور الاخرى، وفي هذا العصر استمر بحر الرجز على ما هو عليه في العصر الجاهلي ولم يأت بجديد. إلا انه كانت هناك نقلة حقيقية لبحر الرجز في العصر الاموي.

الرجز في العصر الاموي

ان في العصر الاموي حدث لبحر الرجز نقلة حقيقية حيث وجد نوع من انواع بحر الرجز ولأول مرة يكتب فيه وهو الرجز (المزدوج). حيث يعد اول من نظم به الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما ذكرت سابقاً، وكتبوا هناك كثير من الشعراء على بحر الرجز بانواعه كافة أو تفننوا في اوزانه واطالوا في قصائده حتى عرفوا بـ (الرجاز) منهم ابي النجم وذو الرمة والعجاج ورؤية بن العجاج، بالاضافة الى ان هناك شعراء آخرون نظموا في بحر الرجز أمثال شعراء النقائض الاخطل والفرزدق وجرير والشعراء العذريين كمجنون ليلى وجميل بنية وليلى الاخيلية.⁽³⁾

ومن اشعار الفرزدق في الرجز حيث نظم قصيدة في الرجز على نظام الشطر الواحد وهو في سفر مع عبيد بن ربيع وهو يسوق به قائلاً.⁽⁴⁾

يا ابن ربيع هل رأيت رحداً

يبقى على الايام او مخلدا

كانما كان عبيداً ارمدا

بالغور حتى انجدت وانجدا

قلانس اذا علون وجدجدا

يرين بالطرف النجاء الابعدا

ذات اليمين وأقترشن القرددا

نعوج منهن نعماً ابدا

(1) ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) طبع بمطبعة المهدية. سنة 1281. ص 36.

(2) ديوان الحطيئة. موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

(3) ينظر : موسيقى الشعر. د. ابراهيم انيس. 42.

(4) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

إذا قطعن جُد جُداً وجدجدا

كأننا إذا جعلنا تمهدا

ومن اشعار جرير في الرجز وهو يهجو البعيث المجاشي على نظام الشطر الواحد : (1)

قد ارقصت ام البعيث حججا

على السوايا ما تحف الهودجا

اولاد رغوان اذا عجعجا

يركبون في المرامي العوسجا

غرههم لعب النبيط الغنوجا

لو كان عن لحم مزاد هجهجا

مقابل بين سريج والخجا

معلهبين ولدا معلهجا

في باذخ من ركن سلمى أوأجا

نحن حمينا السرج ان يهيجا

ثم استبحنا الملك المتوجا

كنا لاعداء تميم كالشجا

ومن اشعار الاخطل وهو يهجو بني زيد بن عمرو وينظم على بحر الرجز نظام الشطر الواحد. (2)

يا مرسل الريح جنوباً وصبا

ان غضبت زيد فردها غضبا

واكس بني زيد بن عمرو نقبا

ليست من البحر ولكن جريا

قبيلة لا يرتدون جلبا

ولا ينالون لقوم سلبا

ولا يساؤون بقوم حسبا

كفى بما عد عليهم شلبا

نساء زيد اللات تردى غضبا

يعتدن بالجوري ورداً اصهبا

خاظمي البقيع لم يكن مجشيا

كان له سبحان اما وابا

فظل يفديها اذا تعيبا

وبالاضافة الى هؤلاء الشعراء ؛ فان رجاز العصر الاموي قد نظموا الكثير من القصائد الطوال على بحر الرجز،

امثال الحجاج ورؤية بن العجاج وذي الرمة وابن نجم ؛ فهذا ذي الرمة يصف (الجمال، والشمس، والمطر، والصحراء)

(1) موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس. ديوان جرير.

(2) ديوان الاخطل. المصدر نفسه.

بقصيدة لاكثر من (39) شطر او بيت على نظام الشطر الواحد، بل ان ابا النجم عندما طلب منه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة ان استنشد بما قال الشعراء في الاسلام فاصابه.⁽¹⁾
لقد سألت هينا موجوداً
ارجز تريد ام قصيدا

وهكذا فان بحر الرجز كان معروفاً باسمه. وكانت له روح وحياء وشأن في العصر الاموي بحيث نظمت عليه القصائد الطوال اكثر من نظم في العصر الجاهلي وصدر الاسلام لكنه لم يولد في هذا العصر وانما ولد كحال البحور الاخرى واستمرت سطوته لتنظم عليه الاف الابيات والاراجيز الطويلة وهو ما حدث في العصر العباسي.

الخلاصة

ان بحر الرجز لم يكن قليل الشأن او إن دوره ضعيف بين بحور الشعر العربي الاخرى كما يرى بعض الادباء بل على العكس من ذلك فقد كان له دور واضح منذ العصر الجاهلي حيث كان يواكب الناس عندما يغرس به الصغار ويشترك بالاعمال الجماعية فنراهم ينظمون على بحر الرجز عندما يركبون الابل وتراهم يذكرون كثيراً من الارجيز بعاداتهم وتقاليدهم لأنهم اعتبروه فن شعبي من فنون الشعر العربي الشعبي، وعلى الرغم من ذلك فقد نظم عليه كثير من شعراء العصر الجاهلي من مقطوعات او ابيات يتيمة او فريدة وهناك قصائد طويلة، وكثير من الرجز قد ضاع وذلك لأنه قل رواته فقد كانوا يعتبرونه من الفنون الشعبية بالعصر الجاهلي ولكن وجدت ان كثير من الشعراء قد نظموا على هذا البحر. وفي العصر الاسلامي وما بعده اصبح هناك كثير من الشعراء ينظمون بالرجز حيث سمو رجازاً بل واصبح انشاداً ورواية وحفظاً وعدا عاملاً اساسياً من عوامل اعداد العلماء والادباء والشعراء وتنمية ملكاتهم الشعرية والادبية، حتى كانت من وصايا العرب المشهورة " رروا اولادكم الرجز ".

وهكذا اصبح البحر بانواعه المعروفة عامة والرجز المزدوج خاصة اناءً او جرة، لحفظ العلوم اللغوية والعلوم الفلكية والفقهية والدينية تنظم فيه الاف الابيات التي اسهمت في حفظ العلوم.

فالرجز سهل الوزن وسهل التناول، وقريب المورد، وكثير الانشاد، علماً انه معروفاً منذ القدم بصفته الشعبية. وهذه الصفة ولدت عند اغلب الباحثين فكرة بان العرب الجاهليين لم يكتبوا به، او كانت الكتابات او النظم ببحر الرجز شبه معدومة. ولكن قد اوجد الباحث بان من الشعراء المشهورين والمعروفين في العصر الجاهلي ينظمون على وزنه قصائد ومقطوعات وعلى جميع اقسامه سواء بالنقافية او الوزن. وهكذا يستمر بحر الرجز الى جانب البحور الاخرى رغم صفته الشعبية.

المصادر

القرآن الكريم.

1. (الاثر التعليمي لفن الرجز). ملخص بحث دكتوراه، حسن محمد حسن محبوب، من شبكة الانترنت.
2. (مصطلحات فنية - الرجز) رحلتي مع الارجيز بصحبة الاستاذ امجد طرايكي. د. عبد الهادي دهاني، استاذ فقه اللغة في كلية الاداب والعلوم الانسانية. جامعة شعيب الركالي. من الانترنت.
3. 19 - ديوان عنتره العبسي. هو عنتره بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي طبعه ورخصه بنفقته خليل الخوري، صاحب المكتبة الجامعة، 1830م.
4. 9 - شرح ديوان المتنبي. وضعه عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الثانية.
5. بين الرجز والشعر في حياة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). بحث منشور. شبكة الانترنت.
6. تاريخ اداب اللغة العربية. جورج زيدان.
7. الثالثة.

(1) ينظر كتاب الاغاني لابن رشيقي الفرداني. موسوعة الشعر العربي. الاصدار الخامس.

8. ديوان النابغة الذبياني. اعتنى به حمد وطماس. دار المعرفة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. 1426هـ - 2005م.
9. ديوان امرؤ القيس. اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان. الطبعة الثانية. 1425هـ - 2004م.
10. ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه). طبع بمطبعة المحمدية. 1281هـ.
11. ديوان طرفة بن العبد. اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة. بيروت. لبنان.
12. ديوان عمرو بن كلثوم. جمعه وحققه وشرحه. د. اميل بديع يعقوب. الناشر دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثانية. 1416هـ - 1996م.
13. فصول في الشعر ونقده. د. شوقي ضيف. دار المعارف. الطبعة
14. في النقد الادبي. د. شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. مكتبة الدراسات الادبية. الطبعة الثانية.
15. القاموس المحيط.
16. لسان العرب. العلامة ابو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الافريقي المعري. اعاد بناءه على الحرف الاول من الكلمة. يوسف الخياط والمرعشلي. دار صادر، بيروت - لبنان.
17. مختار الصحاح. للشيخ الامام. محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي. اعتنى به وراجعاه احمد جاد. دار اللغة الجديد. الطبعة الاولى. 1428هـ - 2007م.
18. مقامات الحريري. المقامات الدينارية. موسوعة اللغة الشعر العربي. الاصدار الخامس. قرص ممغنط الكتروني CD.
19. موسيقى الشعر. د. ابراهيم انيس. دار القلم. بيروت. لبنان.
20. موسيقى الشعر العربي " مشروع دراسة علمية ". د. شكري محمد عياد. الناشر مؤسسة دار الشعب. دار المعرفة.
21. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب. السيد احمد الهاشمي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1421هـ - 2000م.
22. ويكيبيديا. الموسوعة الحرة. من شبكة الانترنت.

